Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

أصغر أجزاء مكونات الجملة العربية

(الحرف و الصوت)

The smallest part composing the Arabic sentence

(The Letter & Sound)

شايط محمد chaitmohammed
جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان
Chaitmoh65@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022-03-26 تاريخ القبول : 2022-04-09

ملخص:

يعد الحرف من أصغر من أجزاء مكونات الجملة في لغتنا العربية وهو الشكل المرسوم أو الصورة للصوت كتابه لأنه قبل أن يرسم كان صوتا يخرج من فم الإنسان، والصوت يعد أساسا في كيان الأشخاص في الاتصال بينهم ، كما ذكرت مفهوما للصوت والحرف ، وكذا خصائص كل منهما .

ثم أنهيت مقالي بالعلاقة بين الحرف والصوت وبينت وظيفة كل منهما في الجملة العربية وتركيبهما ، وخلصت الى أن البشر- كيفما كانت مرتبته - يبلغ مبتغاه بالصوت و الحرف و يعبر بهما عما يختلج في أعماق نفسه منذ ولادته الى أن يموت .

الكلمات المفتاحية:

الصوت والحرف – اللغة العربية –الجملة العربية - أصغر جزء – الاتصال-الأساس - وظيفة.

The abstract

The letter is considered one of the smallest part composing the Arabic language It's considered as the written form of the sound because the letter before it was written it was a sound coming from the tongue of the human being

The sound is of great importance in the life of the humans it helps them to communicate to each other. As I've mentioned also another concept to both sound and the letter as well as their characteristics Then, I ended my article with the relation between the sound & letter and showed the function of both them in the construction(building) of the Arabic language I concluded that the human being whatever his grade is, he will achieve his objective with both sound & letter and thanks to them he can express deeply his feeling since birth to the end of his life.

Keywords: The Letter & Sound- the Arabic language- Arabic sentence- smallest part- The base -function.

تقديم: نمو اللسان العربي وتطوره.

لا شك ولا ريب في أن اللغة الحية في مجتمع من المجتمعات تنمو وتتطور لأن النمو والتطور سنة من سنن الحياة، ولأن حياة اللغة في كل الأمم مرتبطة بالفكر البشري وتقدمه، فهي أداة تفكيره ووسيلة تعبيره عما يختلج في سريرته، والإنسان لا يحتفظ بتفكير عادة في باطنه، وإنما يستشعر الحاجة الأصلية للتعبير عنه كتابة أو كلاما مع من حوله، وأداته الرئيسة في الحالتين إنما هي اللغة، والتفكير والتعبير في حقيقة الأمر متلازمان، لا يستوفي أحدهما كفايته إلا مقترنا بالآخر مستعينين باللغة.

واللسان العربي بالمفهوم الحديث كباقي الألسن (اللغات) خضع للنمو والتطور وما زالت اللغة (اللسان العربي) كذلك فكيف لا؟ وهي لغة القرآن الكريم كلام الله عز وجل وقد شرفت بنزوله بها (**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**) يوسف الآية (02). (**لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ**) سورة النحل 103.

وكيف لا تنمو وتتطور وهي لغة خير البشر محمد عليه ألف صلاة وسلام، الذي قرأ بها كتاب ربه عز وجل ونطق بها أحاديثه وعلم بها البشرية ونشر بها هذا الدين الذي نحن ننعم اليوم في كنفه وكيف لا؟ وهي لغة بيان وعلم إذ يقول تعالى

(الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4))
سورة الرحمن 1-2.

إن اللغة مرآة حياة الأمة والسجل المعبر عن خصائصها ويذهب بعض العلماء إلى أن اللغة العربية عرفت بخصائصها المميزة لها عند القرن الرابع قبل الهجرة والأرجح أن لها تاريخا أبعد من ذلك أدى إلى تطورها ليمكنها من التفرقة الدقيقة بين أحكام الإعراب وبين صيغ المشتقات وبين أوزان الجمع والمثنى وجموع الكثرة والقلة في الأوزان السماعية.

ويضاف إلى ذلك بعض الألفاظ في العربية تشبه أن تكون بقايا تاريخية درست أصولها كما تدرس الآثار المادية، وهذا دليل على زمن قدم اللغة العربية، مثال ذلك أفعال انقرض منها المصدر وأكثر ما يشتق منه ولم يبق منها إلا صيغة أو صيغتان مما تستدعيه الحاجة مثال ذلك الفعلان (يدع ويذر) فليس لهما مصدر معروف ولا يستعمل ماضيهما، وأغرب من ذلك أفعال متصرفة في معنى جامد مثل (هب) بمعنى (افرض)، وغير ذلك من الألفاظ مثل "ليس وعسى".

قال أحدهم: "إن لسان العرب فوق كل لسان ولا تدانيها لسان أخرى من ألسنة العالم جمالا ولا تركيبا ولا أصولا".

ومما يميز اللغة العربية من غيرها من اللغات أنها تمتاز بخصائص قد لا توجد في غيرها من اللغات مثلما هو مرتبط بحركية الكلام والتوسع في طرائق التعبير وهو الإعراب، ومنها ما له علاقة بالألفاظ والأصوات ودلالتها وتراكيبها وأساليبها وصرفها.

تمهيد

خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، وعلمه ما لم يعلم، وزوده بحواس تعينه على إدراك الظواهر المتنوعة التي تحيط به في كل جهة، ولعل أهم تلك الحواس التي نتلقى بها ما يحدث حولنا حاستا البصر والسمع ومن الوظائف الاجتماعية والأساسية في حياة الإنسان هي وظيفة التواصل والاتصال بين أفراد المجتمع فمن هنا يعد الصوت ظاهرة اجتماعية يعبر بها عن أغراض مختلفة، فتواصل الانسان، واتصاله بالآخر يبدأ منذ ولادته، وظهوره إلى الوجود بواسطة الصوت، فيعبر بالصوت، ويموت بالصوت أيضا.

ويعد الصوت الوسيلة المثلى للتعبير عن الأفكار والأحاسيس والأغراض أمام مجموعة لا متناهية من الرموز والإشارات والعلامات التي باتت عاجزة عن تلبية حاجات الناطقين، ومن ثم، فإن الصوت كائن حي موجود له وظيفته في الوجود، وفي حياة الإنسان فالإنسان هو الصوت والصوت هو الإنسان.

وبهذا يقسم الصوت العام قسمين: طبيعي واصطناعي.

أما الطبيعي فهو ما يحدث من تلقاء ذاته ملازما لغيره مثل صوت الرعد، وخرير المياه، وحفيف الأشجار...

وأما الاصطناعي فهو الذي يتولد عن قصد مقصود كصوت الانسان، والحيوان، والمنبهات، ومن هنا ينقسم الاصطناعي بدوره على قسمين، واحد آلي، كأصوات المحركات، والأجراس والآلات الموسيقية، وآخر فيزيولوجي عضوي وهو الناتج عن جسم به لحم ودم، والفيزيولوجي ينقسم قسمين أيضا واحد إنساني وآخر حيواني، وينقسم الإنساني بدوره على قسمين: واحد لغوي وآخر غير لغوي، وما يهمنا هو الصوت اللغوي وهذا الصوت اللغوي الإنساني هو ما كان منطلقه الفكر، وهو منطلق الدراسات اللغوية فهي تبدأ بالصوت وتنتهي عنده، ويؤكد الدارسون والباحثون في مجال اللغة على ضرورة دراسة الأصوات، والتركيز عليها في دراسة اللغات، فيقول الدكتور مهدي المخزومي: " إن دراسة الأصوات هي أول ما يعنى به دارس اللغة إذا أراد أن يدرس لغة ما دراسة لغوية صحيحة، ودراسة الأصوات تتيح للدارس أن

يقف على خصائص هذه الأصوات حين تتمازج في صور كلمات..."[1] لأن اللغة في حد ذاتها مفردات وجمل تتكون من أصوات تركب وتتمازج فتلون الأداء وتنوع الدلالات، كما أن المستوى الصوتي هو الذي يحدد طبيعة البنى الإفرادية والتركيبية، وما يميزها من ظواهر لغوية، تتكون بالصوت، وتحلل به أيضا.

غير أن هذا الموجود اللغوي أي الصوت يزاحمه مصطلح آخر ويتداخل معه، هو ما يسمى الحرف، إذن، فما هو مفهوم الصوت، وما مفهوم الحرف أيضا، وما الفرق بينهما؟ وما العلاقة التي تربط بينهما في تركيب مفردات اللغة العربية؟

مفهوم الصوت:

لغة:

يقول ابن جني: "اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا"[2]

وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها، وإذا تفطنت لذلك وجدته على ما ذكرته لك، ألا ترى أنك تبتدئ الصوت من أقصى حلقك، ثم تبلغ به أي المقاطع شئت، فتجد له جرسا ما فإن انتقلت منه راجعا عنه، أو متجاوزا له، ثم قطعت أحسست عند ذلك صدى غير الصدى الأول، وذلك نحو الكاف، فإنك إذا قطعت بما سمعت هناك صدى ما فإن رجعت إلى القاف سمعت غيره وإن جزت إلى الجيم سمعت غير ذينك الأولين[3] وسبيلك إذا أردت اعتبار صدى الحرف أن تأتي به ساكنا ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله، لأن الساكن لا يمكن الابتداء به فنقول: (اد، اق، اج...) وكذلك سائر الحروف.

الصوت مصدر صات الشيء يصوت صوتا، وهو صائت، وصوت تصويتا فهو مصوت، وهو عام غير مختص [4]

يقال سمعت صوت الرجل وصوت الحمار، وصوت الحصان قال تعالى: (**إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**) سورة لقمان (الآية 19).

قال الشاعر:

كأنمـا أصـواتها فـي الـوادي أصـوات حـج مـن عمـان غـــــــــــــادي

ويقال رجل صات أي شديد الصوت، وحمار صات.

كما يقال: رجل مال: كثير المال، وكبش صاف: كثير الصوف[5]، والصوت مذكر لأنه مصدر بمنزلة الضرب والقتل والغدر والفقر، وقد جاء مؤنثا في قول الشاعر[6]:

يـا أيهـا الراكـب المزجى مطيتـه سـائل بني أشـيد مـا هـذه الصـــــــــــــوت

وإنما أنثه للضرورة الشعرية، ويعد هذا قبيحا، وأراد بذلك الاستغاثة.

واستعمال ابن جني للفظة الحرف وكان يقصد بها الصوت اللغوي المعبر المؤلف من صامت وصائت وهذا عند القدامى، وهنا يظهر التداخل في مفهوم الصوت والحرف.

أما اصطلاحا فيعرفه المحدثون، بأنه الأثر السمعي الذي تحدثه موجات ناشئة عن اهتزاز جسم ما طبيعيا كان أو صناعيا عن قصد أو غير قصد، فهو تموج الهواء ودفعه بقوة وسرعة بأي سبب كان.[7]

ومن العلماء من قسموا الظواهر الصوتية على أسس عديدة ومن هؤلاء إخوان الصفا: فقسموا الأصوات من جهة كيفية الحركات التي تؤديها الآلة المصوتة سواء كانت جهاز نطق حيواني، أو آلة موسيقية أو غيرها وهذه الأقسام ثمانية تصنف مثنى مثنى فمنها: الكبير والصغير، السريع والبطيء والدقيق والغليظ والثقيل والخفيف.[8]

كما قسموا الأصوات من جهة كمية الحركة إلى نوعين متصلة ومنفصلة، فالمنفصلة هي التي بين أزمان حركاتها في النقرات زمان سكون محسوس[9]، أما المتصلة فإنها تلك التي لا نحس بسكون بين أزمان حركاتها...

كما قسموا الأصوات أيضا إلى حيوانية وغير حيوانية، فالحيوانية نوعان: "منطقية وغير منطقية" فغير المنطقية سائر أصوات الحيوانات، أما المنطقية فهي أصوات الناس، منها دالة

ومنها غير دالة[10]. فمثال غير الدالة من المنطقية: الضحك، والأنين، وأما الدالة فهي ماله هجاء من الكلام[11] وهذا ما نعني به الصوت اللغوي (الصوت الدال).

وبهذا يعني أنهم كانوا يميزون بين الأصوات الدالة وبقية الأصوات الإنسانية غير الدالة التي ليست سوى تعبير طبيعي صادر عن الإنسان حين ينفعل[12].

ومن العلماء من فرق بين الصوت والكلام أيضا، يقول أبو هلال العسكري (ت 400 ه): "الفرق بين الصوت والكلام أن من الصوت ما ليس بكلام مثل صوت الطست وأصوات البهائم"[13]

وتلك الأصوات الإنسانية الدالة هي التي تدخل في إطار علم اللغة، وهي التي يقصد اللغويون بحثها ودراستها، وهذه الأصوات قد اهتم بها العلماء العرب منذ فترات مبكرة في تاريخ العلوم العربية.

إذن الصوت هو صورة منطوقة مسموعة باتفاق، وبهذا يتضح أن الصوت هو الأصل.

وللصوت اللغوي خصائص، فكل صوت في اللغة العربية له خصائص تميزه عن الأصوات الأخرى، وهذا ما يجعلنا نعين دلالة المعاني وكذا تنوع هذه المعاني وتختلف من كلمة إلى أخرى، فمثلا صوت (الدال) جعلوه للحواس اللمسية[14]، وصوت (الكاف) الذي عبر في نظرهم عن الاحتكاك.[15]، وهناك من يذهب مذهبا آخر في علاقة الصوت بالحاسة حين يجعل الكاف تعبر عن كف اليد، وهو لمسي، والأصل فيه السمع لأننا نسمع صوته، ولا نفكر في صورته الخطية وفي كل حال من الأحوال تبقي للصوت قيمته وخاصيته الدلالية أينما حل في إفراده أو تركيبه.

ومنهم من حصر الأصوات العربية في ثلاثة أنواع: (فكرية، ولفظية، وخطية). "فالفكرية هي صور روحانية في أفكار النفوس، مصورة في جوهرها قبل إخراجها، معانيها الألفاظ، والأصوات اللفظية: هي أصوات محمولة في الهواء، مدركة بطريق الأذنين، بالقوة السامعة، والأصوات الخطية هي نقوش خطت بالأقلام في وجوه الألواح مدركة بالقوة الناظرة بطريق العينين[16]" .... أما الحروف اللفظية (الأصوات اللفظية) فهي أصوات تحدث في الحلقوم والحنكين وفي اللسان والشفتين عند خروج النفس من الرئة بعد ترويحها الحرارة الغريزية التي في القلب وهي ثمانية وعشرون في العربية. وتزيد وتنقص في سائر اللغات.[17]

والصوت فضلا عن كونه صورة منطوقة كما ذكرنا سابقا هو عبارة عن مجموعة من الأفكار المخزنة في الدماغ (وهو ينطلق من الفكرة حاملا فكرة ليعبر عن فكرة)[18] فالحروف الفكرية أصلا هي الأصوات المنطوقة والتي تتحول بدورها إلى أصول للحروف الخطية (المكتوبة).

وللصوت اللغوي قسمان: أحدهما فيزيولوجي عضوي له علاقة بموقعه في الجهاز النطقي، وبكيفية حدوثه فيه، ويسمى مخرج الصوت، وآخر فيزيائي نفسي بلونه ويميزه عن غيره من الأصوات، وهو صفته وخاصيته أو ميزته وعنها يقول أحد الدارسين: " إن معرفة المخرج بمنزلة الوزن والمقدار ومعرفة الصفة بمنزلة المحك والمعيار"[19] ويشير في هذا بأن للصوت وزنا وكمية.

ومن هنا يمكننا أن نقرر العلاقة بين المخرج والصفة هي العلاقة بين ذات الشيء وصفاته، أو العلاقة بين كمية الشيء وكيفيته، فإذا كان المراد بالمخرج، موضع خروج الصوت ذاته، فإن المراد بالصفة كيفية الصوت وخاصيته المميزة له بالنظر إلى صفته همسا وجهرا وشدة ورخاوة وإطباقا وانفتاحا وغير ذلك.[20]

وتوصل علماؤنا القدامى إلى معظم صفات الأصوات اللغوية اعتمادا على الذوق أو الحس، وإذا كان العلم سلسلة متواصلة الحلقات فلا ريب أن الحلقة الأخيرة التي سايرت العصر الحديث باتت أوفر الحلقات نصيبا من الدقة لاعتمادها على التقدم العلمي التجريبي الذي أفاد من الأجهزة والآلات الحديثة، ولهذا يرى أن المصطلح القديم المعروف بـ (صفات الحروف) يقابل الآن (صفات الأصوات اللغوية).[21]

وفي ها كله نخلص إلى أن للصوت اللغوي ثلاثة مواضع في الجهاز النطقي موضع أول يولد فيه وسمى المبدأ.

وثان يتحقق فيه ويسمى المدرج وثالث ينطلق منه وهو الأخير ويدعى المخرج وهذا الأخير هو الذي تغادر منه الأصوات الجهاز الصوتي (النطقي) نحو الخارج، وإذا تتبعنا خروج الصوت نجد أن أصله نفس، ومولده في الحنجرة، ولكنه يتحقق كصوت في مواقع مختلفة من الجهاز النطقي قد تكون في الحلق، أو في

اللسان، أو في غيرها من مواقع الفم وتأتي آخر مرحلة وهي الخروج وموضع الخروج واحد مشترك بين جميع الأصوات، متمثلا في فتحتي الأنف والشفتين وقد وصفها بعضهم بالبوابة[22]. لأن مخرج كل الأصوات وإذا حاولت إغلاقها أو سدها منعت أصواتك من الخروج، وأول هذه المخارج الحلق أو الحنجرة ثم تأتي اللهاةثم الحنك (اللسان) الشفتان والخيشوم (التجويف الأنفي).[23]

ودون أن نخوض في الشرح والتفصيل، فمن أراد أن يعرف ذلك وخاصة دارسي علم الأصوات بصفة خاصة وعلم اللغة بصفة عامة عليه العودة إلى كتب علم اللغة وعلم الأصوات.

وكل مخرج من هذه المخارج الكبرى التي ذكرت سابقا، (الحلق واللسان والشفتان والخيشوم) تشمل مجموعة من الأصوات، ولهذه الأصوات صفات وخصائص كالهمس والجهر، والشدة والرخاوة والتوسط والانفتاح والإطباق والاستفال والاستعلاء[24] والتفخيم والترقيق وما إلى ذلك من خصائص وصفات تميز الصوت عن غيره ولولا هذه الخصائص لأشبهت الضاد الدال والتاء الثاء والقاف الكاف...

الحرف: لغة

حرف كل شيء طرفه وشفير وحده (الحرف) واحد (حروف) التهجي، وقوله تعالى: "ومن الناس من يعبد الله على حرف" [25] قالوا على وجه واحد وهو أن يعبده على السراء والضراء[26]، والحرف هو ما دل على معنى بواسطة غيره[27]، نحو: هل، وفي، ولم، أي ما دل على معنى في غيره فقط ويعرف الحرف بألا يحسن فيه من العلامات التسع أي لا يقبل شيئا من علامات الاسم ولا من علامات الفعل.

ولا بأس أن نذكر بهذه العلامات، فخمس علامات خاصة بالاسم وهي: (الجر، التنوين، النداء (المناداة)، اقترانه (بال)، الإسناد).[28]

أم الأربع المتبقية فهي خاصة بالفعل وهي: (ثاء الفاعل، وتاء التأنيث، وياء المخاطبة، ونون التوكيد (الخفيفة أو الثقيلة).

وهو أنواع:

1. ما يختص بالأسماء فيعمل فيها كحروفالجر.
2. ما يختص بالأفعال كحروف الجزم والنصب.
3. ما هو مشترك بينهما فلا يعمل ك "هل".

ويعرفه ابن جني بقوله[29]: "وأما الحرف فالقول فيه وفيما كان من لفظه: أن (ح ر ف) أينما وقعت في الكلام يراد بها حد الشيء وحدته من ذلك حرف الشيء، إنما هو حده وناحيته ونقول: إنما أنت على حرف، أي لا أثق بك".

ومن هنا سميت حروف المعجم حروفا، وذلك أن الحرف حد منقطع الصوت وغايته وطرفه،كحرف الجبل ونحوه.

ويجوزأن تكون سميت حروفا لأنها جهاتللكم ونواح كحروف شيء وجهاته المحدقة به، ومن هذا قيل فلان يقرأ بحرف أبي عمرووغيره من القراء، وذلك لأن الحرف حد ما بين القراءتين وجهته وناحيته.[30] وسمى أهل العربية أدوات المعاني حروفا، نحو: من/ قد، وفي ...، وذلك لأنها تأتي في أوائل الكلام وأواخره في غالب الأمر فصارت كالحروف والحدود له.[31]

ويعرفه "ابن سينا" بقوله: (الحرف هيئة للصوت عارضة له يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدة والثقل تميزا في المسموع)[32]، وكان يستعمل "ابن سينا" في الصوت اللغوي (الحرف).

وأطلق المحدثون لفظ الصامت في الاصطلاح على الحرف، وسماه بعضهم الساكن، والصحيح والحبيس.[33] والصامت في المفهوم العام هو ضد الناطق، وبهذا نستنتج أن الحرف يطلق على المكتوب المرسوم، وهو الصورة الخطية للمنطوق الصوت.

وهو كذلك موضع حدوث الصوت وانطلاقه منه، أو ما يعرف بالمخرج عندهم، كما ذكرنا سابقا في هذا البحث، (في تعريف الصوت وخصائصه).

وفي اختلاف مخارج الصوت ومواضعه، اختلاف في الجرس أيضا، ومن ثمة يكون الحرف عبارة عن مجموعة من الأجراس الصوتية المختلفة، ومع ذلك لا يزال الإشكال قائما في تحديد المصطلح بين الصوت والحرف.

العلاقة بين الصوت والحرف:

الصوت هو صورة منطوقة مسموعة باتفاق، ولما احتاج الإنسان إلى حفظ هذه الصورة، ونقل ما تحتويه من أفكار أبدع الكتابة (الحرف). ليحفظ صوته من الزوال لذا يطلق على الحرف الصورة الخطية للصوت (المنطوق)، ولكن تبقى الكتابة عاجزة أمام تعدد الصور المنطوقة وتلويناتها.

وهنا طرح الكثير من الباحثين والدارسين إشكالية وهي هل نكتب كل ما نسمع أو نسمع كل ما نكتب؟

وفي تبيان الفرق بين الصوت والحرف، نذكر آراء بعض علماء اللغة، فهذا السيوطي يتحدث عن علاقة الصوت بالحرف فيقول: "هذا الكلام إنما هو حرف وصوت، فإن تركه سدى غفلا امتد وطال، وإن قطعه تقطع فقطعوه، وجزأوه على حركات أعضاء الإنسان التي يخرج منها الصوت، وهو من أقصى الرئة إلى منتهى الفم، فوجدوه تسعة وعشرين حرفا لا تزيد على ذلك ثم قسموها على الحلق والصدر والشفة واللثة"[34].

وإذا تأملنا نص السيوطي، نجده أشار في بداية حديثه إلى أن الكلام صوت وحرف، ولم يفرق بينهما، فيظهر لنا من خلال ذلك أنه يعد الصوت والحرف صوتين لشيء واحد أي وجهين لعملة واحدة، بينما الحرف كما ذكرنا سابقا- هو الرمز المكتوب أي الصورة المرسومة للصوت (النطق) - والصوت قدر منطوق أو الصورة النطقية (الموجودة في الفكر) للحرف.

كما ذكر أن حروف العربية تسعة وعشرون حرفا مقسمة (مجزأة) على أعضاء النطق في الجهاز النطقي ولو كان ذلك، لأصبح لكل حرف مخرج خاص به فيكون عدد المخارج تسعة وعشرين عوض سبعة عشر مخرجا.

نتأمل قولا آخر لتمام حسان، يحاول فيه التفريق بين الصوت والحرف، فيقول: "والحروف وحدات من نظام وهذه الوحدات أقسام ذهنية، لا أعمال نطقية على نحو ما تكون الأصوات، والفرق واضح بين العمل الحركي الذي للصوت وبين الإدراك الذهني الذي للحرف أي بين ما هو مادي محسوس وبين ما هو معنوي مفهوم." [35].

يفهم من هذا النص أن حسان تمام يفرق بين الصوت والحرف، فأما الحرف فيتعلق بالفكر (الذهن)، وأما الصوت فيتعلق بالحس (المادة)، لأن الحرف هو وحدة ذهنية تشمل مجموعة من الأصوات المختلفة، فنطق أي حرف من حروف العربية لا يتحقق إلا بعد مجموعة من العمليات النطقية التي تساهم احداثها أعضاء الجهاز الصوتي ومعها الفكر، لأن الصوت اللغوي لا يولد في الجهاز النطقي (الصوتي)، إلا بعد أن يتدخل في توجيهه وإرساله[36]، ولكن بعد نطق أي حرف من تلك الحروف تتصور في ذهن المتلقي السامع الصورة البصرية الثابتة لهذا الصوت، ويتحول الصوت (المنطوق) إلى حرف (مكتوب) بفعل التصور الذهني، وبعد ذلك بالكتابة، ونستشف من هذا كله أن الصوت قد يعدل عن مخرجه الأصلي إلى مخرج آخر، وإلى صفة غير صفته لأن له تلوينات مختلفة وتحولات نطقية متنوعة حسب المواقف والأشخاص، فنطق – مثلا – الكبير الحروف ليس كنطق الصغير إياها والمتعلم ليس كنطق الأمي وهكذا دواليك، بينما يبقى الحرف ثابتا على صورته التي كتب عليها مهما اختلفت صور النطقية، كما وضحنا سابقا.

واصطلح المحدثون على الحرف مصطلح الفونيم (ويقصد به معنى الحرف الذي هو أعم من الصوت).[37]

ومن كل ما سبق، يمكن أن نخلص إلى أن الفرق بين الصوت والحرف، يظهر في أن الصوت جزء من تحليل الكلام، وأن الحرف جزء من تحليل اللغة،[38] لأن الكلام مرتبط بالنطق، بينما اللغة مرتبطة بالفكر، ومهما يحصلفإن اللغة والكلام عمليتان فكريتان متلازمتان، ولازمتان للإنسان، وأن الصوت أصل والحرف فرع، وكل منهما يخدم اللغة، إذن فهما وجهان لعملة واحدة فذاك منطوق والآخر مكتوب وعملتهما واحدة وهي اللغة.

الهوامش:

1- "مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو"، مهدي المخزومي، مطبعة الحلبي، ط2 ، 1958، ص166.
2- "سر صناعة الإعراب"، ابن جني، دراسة وتحقيق، د/حسن هنداوي، ص06.
3- المصدر نفسه، ص6.
4- المصدر السابق، ص9.
5- المصدر السابق، ص10.
6- المصدر السابق، ص11.

7- "أسباب حدوث الحروف"، ابن سينا، تحقيق محمد حسان الطيان ويحي مير العلم، مطبوعات معجم اللغة العربية، دمشق، 1983.
8- "رسائل إخوان الصفا"، دار صاد ودار بيروت، بيروت، 1958، ج3، ص 136.
9- المصدر نفسه، ص 137.
10- المصدر السابق، ص 123.
11- المصدر السابق، ص 123.
12- "نشأة اللغة عند الإنسان والطفل"، د.علي عبد الواحد وافي، ص 49.
13- "الفروق في اللغة"، أبو الهلال العسكري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1979، ص30.
14- "خصائص الحروف العربية ومعانيها"، حسن عباس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998، ص 67.
15- المرجع نفسه، ص70.
16- "خليل بن أحمد وابن السكيت والرازي ثلاثة كتب في الحروف"، تحقيق وتقديم وتعليق، رمضان عبد التواب، ط2، 1995، مطبعة الخانجي، القاهرة، ص 147.
17- المصدر نفسه، ص147.
18- "المجمل في المباحث الصوتية في الآثار العربية"، مكي درار، الأديب للنشر والتوزيع، السانيا، الجزائر، ط2004/1، ص20.
19- "دراسات في فقه اللغة"، صبحي الصالح، مطبعة دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، ص277.
20- "دراسات في علم الأصوات"، تأليف الدكتور صبري المتولي، 1425هـ، 2004م، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ص55.
21- المرجع نفسه، ص 55.
22- "الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه"، رسالة ماجستير، وهران، السانية، 1985-1986، ص 87.
23- ينظر كتب علم الأصوات.
24- "الأصوات اللغوية"، محمد علي الخولي، ص46.
25- سورة الحج الآية 11.
26- "مختصر الصحاح"، الإمام محمد بن أبي بكر الرازي، مادة "ح ر ف"
27- "القواعد الأساسية للغة العربية"، تأليف سيد أحمد الهاشمي، دار المكتبة العلمية. بيروت-لبنان، ط1419/1هـ 1998م، ص 198.
28- "النحو الوافي"، عباس حسن، دار المعارف القاهرة، ج1، ط 4، ص26-27.
29- "سر صناعة الإعراب" ابن جني، مصدر سابق 13.
30- "سر صناعة الإعراب" ابن جني، مصدر سابق 13-14.
31- "سر صناعة الإعراب" ابن جني، مصدر سابق 15.
32- "أسباب حدوث الحرف"، ابن سينا، مصدر سابق، ص60.
33- "الوجيز في فقه اللغة"، محمد الأنطاكي، مكتبة دار الشرق بيروت، ط2، 1969، ص160.
34- "المزهر في علوم اللغة وأنواعها"، جلال الدين السيوطي، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته محمد أحمد جادل المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص 36-37.
35- "اللغة العربية معناها ومبناها"، تمام حسان، عالم الكتب، ط1998/3، ص 73.
36- "المجمل في المباحث الصوتية في الآثار العربية"، مكي درار، مرجع سابق، ص 20-21-22.
37- "مبادئ اللسانيات"، ط2، 1999، دار الفكر، دمشق، ص100.
38- "اللغة العربية معناها ومبناها"، مرجع سابق، ص 74

قائمة المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم.
2- "مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو"، مهدي المخزومي، مطبعة الحلبي، ط2 ، 1958.
3- "سر صناعة الإعراب"، ابن جني، دراسة وتحقيق، د/حسن هنداوي.
4- "أسباب حدوث الحروف"، ابن سينا، تحقيق محمد حسان الطيان ويحي مير العلم، مطبوعات معجم اللغة العربية، دمشق، 1983.
5- "رسائل إخوان الصفا"، دار صاد ودار بيروت، بيروت، 1958، ج3.
6- "نشأة اللغة عند الإنسان والطفل"، د.علي عبد الواحد وافي.
7- "الفروق في اللغة"، أبو الهلال العسكري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1979.
8- "خصائص الحروف العربية ومعانيها"، حسن عباس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998.
9- "خليل بن أحمد وابن السكيت والرازي ثلاثة كتب في الحروف"، تحقيق وتقديم وتعليق، رمضان عبد التواب، ط2، 1995، مطبعة الخانجي، القاهرة.
10- "المجمل في المباحث الصوتية في الآثار العربية"، مكي درار، الأديب للنشر والتوزيع، السانيا، الجزائر، ط2004/1.
11- "دراسات في فقه اللغة"، صبحي الصالح، مطبعة دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4.
12- "دراسات في علم الأصوات"، تأليف الدكتور صبري المتولي، 1425هـ، 2004م، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.
13- "الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه"، رسالة ماجستير، وهران، السانية، 1985-1986.
14- "الأصوات اللغوية"، محمد علي الخولي.
15- "مختصر الصحاح"، الإمام محمد بن أبي بكر الرازي، مادة "ح ر ف"
16- "القواعد الأساسية للغة العربية"، تأليف سيد أحمد الهاشمي، دار المكتبة العلمية. بيروت-لبنان، ط1419/1هـ 1998م.
17- "النحو الوافي"، عباس حسن، دار المعارف القاهرة، ج1، ط 4.
18- "الوجيز في فقه اللغة"، محمد الأنطاكي، مكتبة دار الشرق بيروت، ط2، 1969.
19- "المزهر في علوم اللغة وأنواعها"، جلال الدين السيوطي، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته محمد أحمد جادل المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان.
20- "اللغة العربية معناها ومبناها"، تمام حسان، عالم الكتب، ط1998/3.
21- "مبادئ اللسانيات"، ط2، 1999، دار الفكر، دمشق.